مسئولية التربية نحو تجديد الخطاب الدينى المعاصر

إعداد

د/ محمد النصر حسن

أستاذ أصول التربية المساعد

كلية التربية بقنا ــ جامعة جنوب الوادى

ملخص

تتبلور مشكلة الدراسة حول مسئولية المؤسسات التربوية فى تجديد الخطاب الدينى؛ ليتناسب مع معطيات العصر الحالى ؟ واستخدمت الدراسة المنهج الوصفى الذى يتناسب مع طبيعة الدراسة من حيث عرض الموضوع ووصف تفاصيله بصورة تساعد على التنبؤ بالنتائج.

واستهدفت الدراسة التعرف على مفهوم الخطاب الدينى وأبعاده ، والأزمة التى يعانى منها المجتمع المعاصر وتؤدى إلى ظهور حركات التطرف والإرهاب والعنف ، كما هدفت الدراسة إلى الكشف عن المسئوليات التى تقوم بها أهم المؤسسات التربوية فى تجديد وتطوير الخطاب الدينى المعاصر.

وتوصلت هذه الدراسة إلى بعض لنتائج المهمة منها :

- إن دور المؤسسات التربوية فى تجديد الخطاب الدينى لا يقل أهمية وضرورة عن دور الدعوة فى المساجد والمؤسسات الدينية الأخرى.
- فى كثير من المناهج والمقررات الدراسية والأنشطة الدراسية مجالات متعددة تبرز فيها الحاجة الى تجديد الخطاب الدينى وتطويره بشكل يساعد على تعميق المفاهيم الدينية بوسطية واعتدال ، بعيداً عن التطرف والمغالاة والعنف فى إقناع الآخر.

Abstract

The problem is about non-traditional roles around the educational institutions in the renewal of religious discourse directed to pupils and students to face the seeds of extremism, violence and terrorism in the Egyptian society.

Can be formulated in the main following question next president: * - How do the educational Institutions participate in the development, religious discourse to counter extremism and violence? The Study uses the descriptive method which Suit the nature of the topic and described in detail to help predict the outcome.

The most important results:

- The role of educational institutions in the renewal of religious discourse is not less important than the Role of mosques and other relegious institutions.

- In many curricula and courses and activities in various fields of study the need for a renewal of religious discourse and develop appear clearly to help to deepen the religious concepts moderately, away from extremism and excessive violence to convince the other

مقدمة:

كثُر الحديث في الآونة الأخيرة ، عن ضرورة تجديد الخطاب الديني ، ليتلاءم مع مستجدات العصر وروحه ، واحتدم الجدل بين المؤيدين والمعارضين لهذا التجديد ، وصار الخوض فى هذه القضية نهبا مباحا لغير المؤهلين والمتخصصين ، والمنتفعين من تجار الدين ، ولم تتحرك المؤسسات الرسمية فى الدولة إلا بعد أن استفحل الداء ، وصار التدخل الحاسم فيه أمرا لابد منه ؛ حرصاً على عقول الشباب واستقرار المجتمع وأمنه وسلامته[1].

ويشير الواقع الراهن أن الخطاب الدينى المعاصر يمر بمرحلة جديدة من الجمود ، ومناهضة التطور والواقع ، الأمر الذى قد يتعرض معه المجتمع لانتكاسة طويلة . وذلك لعدم وضوح كثير من الامور على اجندة الخطاب الديني . فالخطاب الدينى الحالى يهتم بالعبادات فقط دون الإشارة الى باقى فروع الدين التى لا تقل أهمية عن العبادات. وهناك من يردد ان العبادات هى الأهم باعتبار أن حياة المسلم لا تخلو كل لحظة منها. لكن الناظر إلى الإسلام باعتباره علاقة خاصة بين الفرد وربه تتمثل في أداء العبادات ، يرى بناء على ذلك أن المعاملات الدنيوية إنما هي لاتقل أهمية عن العبادات باعتبار أن (الدين معاملات أيضاً) وهى شأن بشري صرف ، للإنسان أن يصرفه وفقاً لرؤاه وخبراته ومصالحه ، وهى متغيرة من مكان إلى مكان ، ومن زمان إلى زمان. وليس هكذا تكون نظرتنا – مع ملايين من المسلمين – إلى الإسلام ، أى بالفصل بين العبادات والمامالات ، وذلك باعتبار أن الدين الإسلامى «منهج حياة» إذ يتجاوز حدود الزمان والمكان في ثوابته المتفق عليها ، ويترك مساحات واسعة لإعمال الرأي والعقل وفقاً لمتغيرات الزمان والمكان بحيث لا تتعارض مع الأصول والثوابت[2].

---

(1) محمد مختار جمعة : الخطاب الدينى المفترى عليه ، مجلة التصوف الإسلامى ، العدد ٤٣٦ ، القاهرة ، ص. ١٧.

(2) http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=85482

إن الخطاب الديني مرتبط بالإنسان الذي هو اجتماعي بطبعه ، وتبعًا لذلك ينبغي أن يتطور هذا الخطاب في ذاته موضوعًا ومنهجًا ، كما ينبغي أن يعتني بمشاكل الإنسان ، ويفي بحاجاته ويتجاوب مع طموحاته وآماله ، إذ كيف يمكن أن نحقق التوازن بين التمسك بثوابت ديننا الإسلامي الحنيف ، وفي ذات الوقت فهم المتغيرات المعاصرة ، والتعامل معها بما يحقق الأهداف المرجوة ، وبالتالي تجديد النظرة إلى تراثنا الديني والثقافي على النحو اللازم لإبراز الوجه النير من حضارتنا ، ولتحقيق الرقي الشامل لمجتمعنا وأمتنا ؟!

ومن الضرورى أن يكون الخطاب السائد (إعلاميا وتعليميا ودينيا) هو خطاب العيش المشترك يقوم على المواطنة باعتبارها أساس المساواة رغم الاختلافات العقائدية ، وهو ما لا يتعارض مع نصوص إسلامية أكثر دلالة فى حق غير المسلم أن يحيا حياة المساواة الكاملة مع المسلم.

فالخطاب الديني، إذا أحسن توظيفه في منظومتنا التربوية، يظل الخطاب المؤثر بفعالية وقوة في شخصياتنا ويضمن تفاعلاً ومشاركة بفعل الصدى القوي الذي يخلفه في نفوسنا ، من هنا فإن استعماله بكثافة وبتبصر، إلى جانب الخطاب القانوني والعلمي والأدبي يمكن أن يضمن تشكيل وتثبيت الاتجاهات الايجابية نحو القيم والفضائل التى يحث عليها اسلامنا الحنيف.

إذن فالمجتمع المسلم مطالب صراحة أن ينحاز إلى خطاب دينى مناسب ، يعلى من شأن الأخوة الثقافية ، ويرفع من قيم التعايش والتسامح والمواطنة ، وهو ما يتطلب إجراءات عملية على المستويين التشريعى والمؤسساتى حتى تتوازى هذه الأخوة الثقافية مع المواطنة القانونية. ويستلزم ذلك إصدار تشريعات تجرم وتعاقب أى خطاب دينى يحط من شأن أتباع الديانات الأخرى أو يحرض على إهانة رموزها. قانون العقوبات المصرى يعاقب التحريض على القتل، ومن المنطقى أن يعاقب كذلك التحريض على الفتنة الطائفية. وكثير من دول العالم لديها قوانين تجرم جرائم الكراهية.

مشكلة الدراسة:

يواجه الخطاب الديني اليوم تحديات عديدة تتمثل فى عدم مواكبته لتطورات العصر، فمع التقدم العلمي والتكنولوجي أصبحت لغة الخطاب تحتاج إلى تطوير وتجديد وانفتاح على الآخر في لغته وطريقة عرضه ، ووجوب مراجعة الطرق الدعوية من حين لآخر حتى يؤدي الخطاب الديني دوره الحقيقي المواكب للتغيرات المجتمعية خاصةً مع ظهور سائل الاتصال والتكنولوجيا والتطورات التي يشهدها العصر.

إن قصور الخطاب الديني اليوم يرجع إلى خلل حاد في المفاهيم والمصطلحات الناشئة وانضواء الكثير من منابر الخطاب الديني تحت اللواء الرسمي في الدول الإسلامية طوعا أو كرها، الأمر الذي قلل من قبوله الشعبي. وليس بخفي أن المؤسسات الدينية الكبرى في الخليج ومصر والشام لم تنتقل بعد من سيطرة القرار السياسي البرجماتي البحت ، فهي بالكاد تتعايش معه وفق اجتهاد مرجوح لا يفي بالحد الأدنى من تطلعات الشارع الإسلامي الذي وجد نفسه ميالا أكثر مع كل عالم أو مفكر يخرج عن المألوف ويطرح طرحا يلامس احتياجات الناس ويواسي آلامهم.

وتشير الملاحظات النقدية المعاصرة حول واقع الخطاب الدينى الاسلامى فى المجتمع العربى بشكل عام إلى أن هناك عدة أسباب لفشل الخطاب الدينى المعاصر منها [1] :

- عدم الاستفادة من النص القرآنى.
- والبحث فى الماضى عن حلول لمشكلات الحاضر مع التوجس من التغيرات المجتمعية.
- تمجيد التاريخ والتغنى بالأمجاد، قلقاً من التطورات المستقبلية
- والنزعة الاتهامية نحو الآخر ولومه
- والسمة الاقصائية للآخر الدينى والمذهبى

[1] http://www.youm7.com/story/2015/1/25

- إعادة إنتاج مقولات الفقهاء الحاضر

والواقع أنه لا يمكن تطوير الخطاب الديني دون نهضة تربوية وتعليمية عامة ، ونهضة تعليمية تختص بالتعليم الديني ؛ حيث تكون هذه النهضة متمثلة في وجوب التوجه إلى الأسلوب النقدي التجديدي في قراءة تراث الإسلام بمجمله.

ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي :

* ما مسئولية التربية فى تجديد الخطاب الدينى ؛ ليتناسب مع معطيات العصر الحالى؟

ويتفرع من هذا السؤال بعض الأسئلة الفرعية التالية : -

- ما مفهوم الخطاب الدينى وما مبررات تجديده ؟
- ما واقع أزمة الخطاب الدينى المعاصر ؟
- ما مسئولية الأسرة والمدرسة فى تجديد الخطاب الدينى المعاصر ؟
- ما المتطلبات التربوية لتجديد الخطاب الدينى المعاصر فى الأسرة والمدرسة ؟

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة في ضوء الاعتبارات الآتية :

١- التربية ومناهج التعليم من أهم الضمانات للحفاظ علي ثقافة المجتمع الاسلامى ، وهى وسيلة فعالة فى تحقيق أهداف تجديد الخطاب الدينى الاسلامى.

٢- معاناة المجتمع العربى والمصرى من آثار التطرف والعنف ماهى إلا نتيجة طبيعية للقصور الواضح فى إهمال الخطاب الدينى الحالى ودعواته المتطرفة.

٣- يمكن لمؤسسات التربية أن تساهم بفعالية مؤثرة فى توجيه النشء والشباب نحو سماحة الدين الاسلامى وواقعيته من خلال ربطه بمعطيات العصر وتحدياته الراهنة.

٤- محاولة وضع رؤيا تربوية للحفاظ على وسطية الاسلام من ناحية ، ومواجهة الغزو الفكري والثقافي الغربى والشيعى من ناحية أخرى.

منهج الدراسة:

تستخدم هذه الدراسة المنهج الوصفى التحليلى الذى يناسب طبيعتها من حيث وصف وتحليل عناصر الموضوع من جوانبه المختلفة ، بهدف التوصل إلى نتائج محددة فى الأهداف المعدة سلفا للدراسة الحالية.

مصطلحات الدراسة

الخطاب الدينى :

يطلق الخطاب الديني على : (النصوص التشريعية) أو الوحي ويطلق ويراد به التعبير عن النصوص التشريعية ، فإذا أريد بالخطاب الديني (الوحي نفسه) فلا مجال للتجديد أو التغيير في هذا الخطاب ، لأنه ثابت في نفسه ، وثباته عنوان قوته واستقراره ، واستمرار فاعليته أبد الدهر، أما إذا أريد بالخطاب الديني (الحديث عن الوحي) أوالتعبير عنه شفويًا أو تحريريًا ، فهذا عمل بشري يدخله التجدد والتطوير ، بأي أسلوب كان التعبير، وبأي صيغة كانت ، سواء سمي تفسيرًا ، أو شرحًا، أو استنباطًا، أو تخريجًا ، أو مقارنة ، أو حوارًا ومناظرة ، أو غير ذلك[1].

فالخطاب الديني هو كلام الله تعالى للناس أجمعين ، متمثلاً في الدعوة التي حملها كتابه الكريم ، ورسوله صلى الله عليه وسلم إلى الناس أجمعين ، لتكون هذه الدعوة منهج حياة لكل من آمن بها ، وهو أيضاً : إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع المحدثات[2].

ويعرف الخطاب الديني بأنه : الواسطة بين الناس و بين القرآن و السنة و التي توضح للناس مسلمين و غير مسلمين الإسلام و ما فيه من الأحكام : عقيدة أو شريعة ، عبادة أو معاملة ، فكرا أو سلوكا و أخلاقا و كذلك شرح تاريخ الإسلام و

---

[1] http://www.alukah.net/Web/triqi/0/31579

[2] محمد بن شاكر الشريف : تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف ، الرياض ، مجلة البيان ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م ، ص ١٧

[2] http://site.iugaza.edu.ps/msousi

استخراج المستفاد منه سواء السيرة النبوية أو تاريخ الخلافة أو التاريخ الإسلامي المعاصر. فالخطاب الديني الفعال هو الخطاب الذي يمكن الإنسان من تحقيق الأهداف التي خلق لأجلها وهي معرفة الله و وعبادة الله وعمارة الأرض[٣].

ويعبر عن هذا الخطاب بأساليب شتى منها : الخطبة و المحاضرة و المقالة و الكتاب و الرسالة و الندوة و البرنامج الإذاعي أو التليفزيوني و العمل الدرامي المسلسل و الفيلم و المسرحية و العمل الأدبي نثر أو شعر أو زجل أو قصة و كذلك الأغنية و الإعلان المنشور أو المصور أو المعلق و كذلك شبكة الإنترنت.

أما مصطلح (التجديد) فالمقصود به هنا فى هذه الدراسة : التغير في الوسائل والأساليب المستخدمة في توصيل الخطاب للآخرين ، فالأساليب والوسائل تعتبر من شكليات الخطاب الديني وليست من مضامينه ، وهي لم ينص عليها الشارع وترك التخيير فيها للمسلمين على ألا تخالف حدود الخطاب ، فالأصل في الأساليب والوسائل الجواز ما لم تخالف نصا دينياً[١].

وقد وردت في الحديث الذي رواه أبو هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا ، والتجديد هو إعادة الشيء إلى أصله أو على مثل ما كان عليه ، وبذلك فالحديث يقصد إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من الزمان من يعيد الأمة إلى مسارها الصحيح، ويبدد عنها الانحرافات والضلالات التي أصابت الأمة عبر قرن من الزمان.

وهذا الخطاب يظهر في صيغة دعوية تربوية تعتمد على تحريك المشاعر و تعبر عن البعد العاطفي للدين أو في صيغة فقهية تشريعية تعبر عن البعد العملي للدين أو في صيغة فكرية فلسفية تعبر عن البعد العقدي و الفلسفي للدين.

---

(١) . أشرف يوسف أبو عطايا و يحيى عبد الهادي أبو زينة : تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة ، بحث فى مؤتمر كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية – غزة ، ١٤

إجراءات الدراسة :

تعرض هذه الدراسة الموضوع من خلال تناول النقاط التالية :

أولا : الإطار العام للدراسة :

- مقدمة الدراسة. - مشكلة الدراسة وتساؤلاتها.
- أهمية الدراسة. - أهداف الدراسة.
- منهج الدراسة. -حدود الدراسة.
- مصطلحات الدراسة. - إجراءات الدراسة (خطة السير)

ثانيا : محتوى الدراسة :

(أ)- الخطاب الدينى وأبعاده:

١- مفهوم الخطاب الدينى
٢- أهمية الخطاب الدينى وأهدافه.
٣- واقع أزمة الخطاب الدينى المعاصر
٤- ضوابط الخطاب الدينى.
٥- مبررات ودوافع التجديد الخطاب الدينى
٦- وسائل الخطاب الدينى
٧- مقومات تجديد الخطاب الدينى

(ب)- الخطاب الدينى فى المؤسسات التربوية

١- الخطاب الدينى فى الأسرة
٢- الخطاب الدينى فى المدرسة

(ج)- المتطلبات التربوية للخطاب الدينى :

- تعزيز مبدأ الحوار مع الآخر.
- التكيف مع العصر والانفتاح على الأديان والثقافات العالمية.
- توظيف الخطاب الدينى فى التنمية البشرية.
- الالتزام بالعقيدة الصحيحة دون تطرف. (البعد عن التشدد والغلو والتطرف.)

نتائج وتوصيات الدراسة:

المراجع

ثانياً : محتوى الدراسة :

(أ)- الخطاب الديني وأبعاده :

١- مفهوم الخطاب الديني :

يعرف الخطاب الديني بأنه : الواسطة بين الناس و بين القرآن و السنة و التي توضح للناس مسلمين و غير مسلمين الإسلام و ما فيه من الأحكام : عقيدة أو شريعة ، عبادة أو معاملة ، فكر أو سلوكا و أخلاق و كذلك شرح تاريخ الإسلام و استخراج المستفاد منه سواء السيرة النبوية أو تاريخ الخلافة أو التاريخ الإسلامي المعاصر ، فهذه الواسطة هي العقل البشري الذي يفهم نصوص القرآن و السنة و يستخرج منها الأحكام و يعي أحداث التاريخ و يستخرج منها الدروس المستفادة و هي أيضا العقل البشري الذي يحدد طرق توصيل هذه الأحكام إلى الناس و يرتب الأولويات ، و بالتالي فإن التعبير عن حقيقة الدين يتأثر بشكل مباشر بحال هذا العقل البشري الذي يتعامل مع النصوص من حيث العلم و الفهم و الحكمة و مدى الدراية بطبيعة الزمان و المكان الذي يعيش فيه و مدى المعرفة بطبيعة البشر الذين يخاطبهم الله بهذه الأحكام و كذلك مدى المعرفة بالمقاصد التي لأجلها شرع الله الأحكام[١].

ويصدق هذا قول الحق عز وجل: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)، حيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوة الناس إلى الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة، وجدال الناس بالتي هي أحسن، وذلك لا يكون إلا بمخاطبتهم.

ثم يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)، وكذلك

(١) (٢) http://site.iugaza.edu.ps/msousi

فقد أمر عليه الصلاة والسلام بتبليغ الناس ما أنزل إليه من ربه، والتبليغ له وسائل كثيرة على رأسها مخاطبة المبلغين.

ويقول عز وجل: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، والبيان لا يكون إلا بالخطاب، واللسان هو اللغة الواضحة المستبينه التي يفهما المخطبون جميعاً.

أما لفظ التجديد فقد استخدمه النبي صلى الله عليه و سلم في قوله : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) فقد اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم أن إصلاح مسار الخطاب الديني إذا أصابه ما يجعله غير قادر على أداء دوره في بناء و إصلاح الكون وتجديده حقيقة وضرورة .

و يعبر عن هذا الخطاب بأساليب شتى منها : الخطبة و المحاضرة و المقالة و الكتاب و الرسالة و الندوة و البرنامج الإذاعي أو التليفزيوني و العمل الدرامي المسلسل و الفيلم و المسرحية والعمل الأدبي نثر أو شعر أو زجل أو قصة و كذلك الأغنية و الإعلان المنشور أو المصور أو المعلق و كذلك شبكة الإنترنت.

وقد اختلف العلماء في القبول بمصطلح (تجديد الخطاب الديني) معتبرين الأمر يضم جانبين الأول هو المضمون الذي يحوي الثوابت الصالحة لكل زمان ومكان والثاني هو القالب أو الهيكل وطريقة العرض في تقديم رؤية الدين الحقة لقضايا ومتغيرات العصر ومنها ما جاء في تصريحات مسئولي الدعوة الرسميين بضرورة توجيه الخطاب الديني في ظل الظروف الحالية نحو الدعوة للم الشمل وجمع الكلمة والتخلص من سلبيات الماضي ونفض التخلف والجهل والإنطلاق نحو ما نادي به الدين الحنيف لمعالجة السلبيات التي يعج بها المجتمع العربى والاسلامى اليوم[1].

ولكي يمكن تحليل ظاهرة الخطاب الدينى ودراسة ما يتعلق بها من جوانب لابد من الإشارة اجمالاً الى وظيفة كل من الدين كنظام سماوي والعقل واستنتاجاته

---

(1) فاطمة العربي : http://massai.ahram.org.eg/Inner.aspx?IssueId=694&typeid

ودوره في تقويم مسيرة الانسانيه وايضاح العلاقه بين الدين والعقل ، ولكي نفهم هذه العلاقة لابد أن نستحضر حقيقة مهمة تمثل نقطة انطلاق نحو بلوغ هذا الفهم وهي ان كلاً من الدين والعقل منهجان يؤديان الى غايه واحده وهي تنظيم الحياة الانسانية وان اختلفا في الطريقة والأسلوب الذي يوصل فيه كلاً منهما الى تلك الغايه وبناءاً على ما تقدم لابد من الاشاره الى وظيفة كلا المجالين[٢] :-

الدين رساله إلهية هدفها رسم المسار الذي ينبغي ان تسير بموجبه حياة الانسان ، وفي هذه الرساله قانون شامل لكل مامن شأنه ان يقيم الحياة على اساس من العدل والمساواة وحفظ الحقوق وصيانة الكرامه وكل ما يرتقي بالانسان الى مستوى انسانيته ، فالدين يضع لحياتنا هدفاً ويحدد لنا الوسائل التي توصلنا الى ذلك الهدف ، فهو ينقلنا من حالة العبثية والعشوائية الى حاله من النشاط والعمل الهادف ؛ لأن الانسان عندما لا يكون لديه هدف في الحياة انسان ضائع يسيطر عليه الملل والضجر، ولا يجد لحياته طعماً ، والدين فوق كل ذلك علاقة خالق له كل صفات الفيض والعطاء بمخلوق ما كان شيئاً مذكوراً لو لا خالقه الذي افاض عليه الوجود واغرق عليه هذه النعم التي لا تحصى وهذه العلاقه بين الخالق والمخلوق لكي تستمر وتقوى تفرض عليه جملة امور بالامكان حصرها في كلمه واحده هي الاستقامة.

أما العقل فأننا عندما نتأمل في بداية وجود الانسان نجد ان العقل حاضر منذ النشأة الأولى وقد ورد في الاثر ان الله سبحانه وتعالى عندما خلق الانسان واوجد فيه العقل قال له اقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر قال بك اعاقب وفيك اثيب ، وفي هذا دلاله على ان وجود العقل سابق على وجود الدين ، وبإمكان الانسان بهذا العقل ان يدبر اموره وينظم شؤونه ويبني حياته بل ما قامت الحضارات والاكتشافات والاختراعات الا بهذا العقل ... ولو اتبع الانسان احكام عقله دائماً لهداه الى كل

---

[٢] عبد الستار الاسماعيلي : الخطاب الديني بين الاعتدال والتطرف
http://www.alnoor.se/article.asp?id=99589

مايصلح شأنه ولكن الميول والاهواء والغرائز والمصالح ... الخ تؤثر على مهمة العقل في توجيه الانسان فتحرفه يميناً او شمالاً ، فهذه المؤثرات تحاول دائماً اجتذابه وحرفه عن الطريق السوي ... وهنا يبرز دور الدين الاساسي وهو ارجاع الانسان الى رشده والى ما يستقيم مع الفطره السليمه ، والى ترسيخ وظيفة العقل الذي اودعه الله تعالى في الانسان فالدين والعقل يلتقيان عند غايه واحده اساسيه هي بلوغ الانسان انسانيته ، واذا ما ادركنا هذه الغايه واخضعنا سلوكنا لمنطق العقل فأننا في نهاية الامر نكون قد حققنا هدف الدين الاساسي وهو تحقيق كرامة الانسان من خلال نضوجه الفكري وفهمه للحياة .

وبهذا المنظار يكون مؤدي وظيفة العقل ودور الدين هو اقامة صرح الحياة الانسانيه على اسس قويه رصينه تكفل سعادة الانسان ولكن عندما نلقي نظره بسيطه على تاريخنا الاجتماعي ماذا نجد ؟ ان التاريخ يطلعنا على كوارث اصابت نظامنا الاجتماعي ، ويوقفنا على مآسي وقعت نتيجه للتوظيف الخاطئ للعقل ، وكان قدر مجتمعنا ان يرزح تحت نير هذه الويلات والحروب والدمار والفقر والتخلف والصراع الذي لامبرر له ، اما الدين فأنه لم يأخذ فرصه كافيه في الاصلاح ولم يسمح لرسالته ان تؤدي دورها في تصحيح مسيرة المجتمع بل ان الفهم السئ والتفسير الجامد والتعصب الاعمى جعل من الدين سبباً للفرقه والتناحر والعداء بين الانسان واخيه الانسان وهو مانطالعه ونلمسه كل يوم في واقع نتمنى ان يعود له صفاءه ونقاءه[1] .

ويظهر الخطاب الديني في صيغة دعوية تربوية تعتمد على تحريك المشاعر و تعبر عن البعد العاطفي للدين أو في صيغة فقهية تشريعية تعبر عن البعد العملي للدين أو في صيغة فكرية فلسفية تعبر عن البعد العقدي و الفلسفي للدين.

---

[1] عبد الستار الاسماعيلي : الخطاب الديني بين الاعتدال والتطرف مرجع سابق ، http://www.alnoor.se/article.asp?id=99589

٢- أهمية الخطاب الدينى وخصائصه :

تكتسب التوجيهات النابعة من الدين تقديرا واحتراما يصل إلى حد القدراسة ، لأن الدين أعظم مؤثر على وجدان الشعب المصري ، وهذا التأثير ينطبق على فئات الشعب المختلفة ، الفلاحين ، وأصحاب الطبقة الوسطى والمهنيين والأطباء والمهندسين حتى الفنانين والفنانات والكثير من أفراد هذه الفئات يلتزم بما يقدمه الدين. كما إن التجديد الديني يستهدف الفرد والمجتمع ، بالتالي فبقدر ما يساهم هذا التجديد الديني في بناء الفرد ، بقدر ما يساهم في بناء المجتمع.

إن الحديث حول أهمية الخطاب الدينى تبرز كمطلب بتبني مفهوم العالمية بين طياته و فى مضمونه أننا بحاجة اليوم أكثر مما مضى إليه ، نحتاج إلى خطاب ديني يعزز الشراكة في الحياة وفي الأوطان ويزيل أسباب الخوف والنفور وعدم الثقة من الآخر فالحوار الجاد والملتزم المتأصل يغير الكثير من المفاهيم المغلوطة عن الآخر ويبعث الأمل في النفوس نحو العيش في مجتمع تسوده المودة والإخاء والعدل والمساواة والحرية بين أبناء الوطن الواحد وكذلك أصبحنا بحاجة الى تطوير الخطاب نظرا لتطور مفهوم ثقافة حقوق الانسان ومطالب التعايش وتعدد الثقافات – والحريات الدينية – ونظرة الدين الى المواطنة – وحقوق الانسان – كما تتجه الان المجتمعات من النفوذ والسلطة الى مجتمعات حرية وديمقراطية .

ويرى البعض أن أهمية الخطاب الدينى تكمن الاعتبارات التالية :

أ- لأنه أكثر العوامل المؤثرة والمحركة للجماهير ولاحتلاله المكانة الأولى لديهم على مرّ الأزمنة.

ب- مبرر العنف والتعصّب.

ج- لأنه يساعد في نضج الأشخاص ؛ لأنه مع تجديد الخطاب الديني الذي يساير العصر يزداد المتعصّب نضجاً على كافة المستويات الفكرية، والأخلاقية...الخ

د- مع تجديد الخطاب الديني تساير الجماعة الكنسية العصر التي تعيش فيه من تطوّر على كافة المستويات

هـ- يساعد على العيش المشترك : فالخطاب الديني في حد ذا ته يوجّه إلى الإيمان بالله، وإلى محبة جميع خلائقه البشر، دون النظر إلى دينهم أو طائفتهم. وأما إذا تحوّل إلى تهيّج وتشويه للحقيقة ، فهو يلحق الضرر بجميع الأطراف. كما أنه يتنافى مع العيش المشترك. حيث في تجديد الخطاب الديني تتغير وجهات نظر الناس مع تغيير عقولهم ، بالتالي ينتج عن ذلك الإعتراف بقيمة الآخر والعيش المشترك.

و- في تجديد الخطاب الديني نرتقي بمستوى العلاقات الإنسانية بين أفراد الجماعة وبين الجماعات المختلفة.

خصائص الخطاب الديني:

الخطاب الديني الفعال هو الخطاب الذي يمكن الإنسان من تحقيق الأهداف التي خلق لأجلها وهى : معرفة الله ،وعبادة الله ، وعمارة الأرض. فوظيفة الخطاب الديني هي تلبيغ دعوة الله تعالى إلى الناس حتى تكون منهج حياة لهم ، وحتى يؤدي هذا الخطاب وظيفته هذه فلا بد أن تتوفر فيه مجموعة من السمات التي تمكنه من ذلك، وتجعله أكثر إقناعاً وإفهاماً، ونعرض لأهم هذه السمات على النحو التالي:

أولاً: الربانية:

حيث الخطاب الديني رباني المنشأ، فهو الذي أنزل كتابه العزيز ليكون بياناً للناس أجمعين، يقول الله تعالى: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً)، حيث القرآن هو المصدر الأول الذي نستمد منه مقومات خطابنا للناس، وهو الذي جاء بكل التكاليف الشرعية التي كلف به الخلائق أجمعين.

وعلى ذلك فلا يستقيم منا أن نخالف السمت الرئيس لهذا الكتاب العزيز؛ بل نحن مأمورون بالاهتداء بهديه، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ ربك)، وما أنزل إليه هو القرآن الكريم، فعليه أن يبلغه كما هو، كلاً متكاملاً، لا نقص فيه، ولا زيادة.

ثانياً: الواقعية:

إذا كانت وظيفة الخطاب الديني هو تلبيغ الناس ذلك المهج الذي أراد الله تعالى للناس أن يتبعوه، فلا بد أن يكون هذا الخطاب واقعياً، لا يخرج عن إمكانيات الناس، ومقدورهم، وهذا من خصائص الإسلام بشكل عام، يقول الله تعالى: ((لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا).

ودليل واقعية الخطاب الديني أنه كان ينسجم فيما يحمل من تكاليف مع واقع الناس تمام الانسجام، فلا يطلب منهم إلا ما يطيقون، وكنا نراه يتغير بتغير هذا الواقع، والأمثلة التطبيقية على هذا كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

إن الله تعالى قد كلف المؤمنين بالثبات في المعركة إذا كان مقابل كل مقاتل عشرة من الأعداء، حيث قال عز وجل: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ)، ولم تغير حال المسلمين، وتغلغل إليهم الضعف، تغيّر الخطاب نفسه، وجاء بتكليف جديد يتناسب مع هذا الواقع الجديد، حيث أصبح مطلوباً من كل مؤمن أن يثبت أمام اثنين من أعدائه، بدلاً من أن يثبت أمام عشرة، جاء ذلك في قوله تعالى: (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ).

حتى لما كان القرآن يعرض لنا قصص الأولين، لم يكن يعرضها كوقائع هي من نسج الخيال، بل كان يعرضها علاجاً لواقع يعشه الناس في كل زمان، مهما طال هذا الزمان، ودليل ذلك سورة يوسف، التي عرضت قصة هذا النبي عليه الصلاة والسلام، بأسلوب يعالج واقع كل من يقرأ هذه القصة في أي زمان ومكان، حيث تناولت مجموعة من القضايا التي تتجدد في كل عصر، وعالجتها بطريقة هي في متناول كل الناس بغض النظر عن الحقبة التي يعشون فيها، ولا مجال هنا لسرد الأمثلة على ذلك.

ثالثاً: العقلانية:

إن اللافت في خطابات القرآن الكريم أنه أكثر من خطاب العقل، حيث كان يحرص على إقناع المخاطبين بالحجة والبرهان، ويطرح القضايا بناء على أسس منطقية سليمة، لا بد للعقل السليم أن يسلم بها، , ويمكن القول أن خطاب القرآن كان بعيداً عن التشهي والمزاجية، وكان يجافي الهوى والانتقائية، ولم يكن بحال من الأحوال يفرض نفسه كأمر واقع على حساب الدليل والبرهان، وما حجر خطاب القرآن على عقل أحد على الإطلاق، يقول الله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)، ويقول تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)، وبناء على هذه الآية فما كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن يكره الناس على الإسلام، وبالتالي فهو غير محتاج إلى تزييف الأمور، والخروج عن مقتضى العقل.

رابعاً: الترفع عن البذاءة:

كان القرآن الكريم يخاطب الناس بحسبهم، فكان يخاطب المؤمنين بما بحيون، حيث صدرت نداءات القرآن لمن آمن بـ (يا أيها الذين آمنوا)، وهو لقب محبب إلى المؤمنين بالله تعالى، وكذلك كان يناديهم بلقب يشعر بالود والرحمة حتى يقربهم إليه أكثر، حيث كان خطابهم في كثير من المواضع بـ (يا عبادي).

أما غير المؤمنين فكان يحاول ألا يؤذيهم بألقاب تنفرهم عن مخاطبته لهم؛ ذلك لعلهم يؤمنون، ومعلوم أن القرآن ما نادى الكافرين بهذا اللقب إلا مرتين فقط، مرة حين قال لهم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)، وهذا يكون يوم القيامة، بعد أن لا يكون هناك سبيل لهدايتهم.

وأما المرة الثانية فكانت في قوله عز وجل: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)، حيث كان لا بد من التمايز هنا، ليبين لهم أنه لن يتبع دينهم بسبب كفرهم، وأن لهم أن يبقوا عليه إن شاؤوا.

وما عدا ذلك فإنه كان يكتفي بالتعريض بالكفر أو الشرك، كقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)، وقوله: (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا)، وقوله: (فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)، وقوله: (رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ)، وقوله: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ)، وقوله: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ)، دون أن يخاطبهم بالكفر أو النفاق مباشرة.

ومن ذلك أيضاً أن القرآن أمر ألا نسب آلهة الكفار فيسبوا الله تعالى، وفي ذلك قال الحق سبحانه: (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، فكان يأمر بالترفع في خطاب الكفار، حتى لا يتجرأوا على سب الله تعالى، لا من أجل أنهم يستحقون ذلك.

ومن ذلك أيضاً أنه أمر بعدم الرد على الجاهلين بخطاب جاهل مثل خطابهم، فقال الله تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً).

٣- واقع أزمة الخطاب الديني المعاصر:

لا يزال الحديث عن أزمة الخطاب الديني المعاصر وتجديده من أكثر القضايا الجدلية خلافاً ليس بين التيارات الفكرية والسياسية فحسب ، بل _ أيضاً _ بين المنتمين للمؤسسات الدينية وأتباعها. وقبل الحديث عن أزمة تجديد الخطاب الديني، نؤكد هنا علي عدد من الملاحظات الهامة، منها :

- إن المأزق الحقيقي لتجديد الخطاب الديني هو تحديثه من خلال مقتضيات العصر من خلال منظومة الأفكار والمفاهيم وأساليب التفكير، وما يترتب علي ذلك من مواقف تجاه قضايا محددة.. لما يمثله الخطاب الديني كواحد أهم عوامل السلام الاجتماعي.

- كما أن تجديد الخطاب الديني قد بدأ من مؤسساتنا الدينية ، ونذكر هنا علي سبيل المثال فقط لا الحصر، مؤتمر "تجديد الفكر الإسلامي" الذي قام تحت رعاية المجلس الأعلي للشؤون الإسلامية في شهر مايو سنة ٢٠٠٠. ولم يكن المؤتمر في حينه مفروضًا علينا من الخارج كما يحلو للبعض أن يردد.
- إن رفض التجديد يعني تجميد الأحكام عند فترة زمنية محددة في التاريخ الماضي، وهو ما يعني غلق باب الاجتهاد الذي يقوم أساساً علي التجديد. كما أن الخوف من التجديد عند البعض هو نوع من الدفاع عن الذات القومية.
- إن تجديد الخطاب الديني مرتبط بشكل مباشر بتجديد الخطاب السياسي وإصلاحه.

ويعاني الخطاب الديني في الوقت الراهن من أزمات عدة يمكن رصدها في ثلاث مستويات جوهرية هى :

١- أزمة النقل : وتتجلى هذه في أمرين اثنين :

(أ)- عدم القدرة على التفاعل الواعي مع النصوص القرآنية والحديثية ، وقراءة هذه النصوص قراءة تجديدية متصلة بشكل مباشر مع روح ومقاصد الاسلام الكلية واستحضار الواقع المتغير والمركب. وهذا المستوى غالبا ما يقع فيه الوعاظ والخطباء والدعاة ذوو البضاعة المزجاة في الفقه الشرعي الكلي..

(ب)- ما طرأ على الكتاب والسنة من شروحات وتفسيرات وفروع صاغها علماؤنا الأجلاء في زمانهم لكنها الآن تشكل أمام الناظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كتلة تحجب عنه الاستنباط مباشرة من المعين الصافي.

أزمة العقل : ٢-

تتجلى هذه الأزمة في الجمود الفكري ،والتعصب المذهبي ، والتشتت الفقهي ،والانفصام المعرفي ،والهروب من الواقع والاحتماء بقضايا الماضي التي لم تعد تطرح بالحاح كما كانت من قبل أو لربما لا تطرح أصلا بشكل عام أزمة العقل الاسلامي تتلخص في التفكير بشروط الفتنة. ولا أدل على ذلك من ظهور ذهنيات عديدة تنتج أنواعا مختلفة من الخطاب الديني.

٣- أزمة الإرادة:

أي ما يغشى هذه الإرادات البشرية من فتور يدعو لمسالمة الواقع، أو حماس مندفع يريد القفز إلى المستقبل قبل أن يوطد أقدامه في الحاضر، أو نفور وتنافس بين الأشخاص، أو حب للظهور والرئاسة وغلبة الخصم في الحجة

ومن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ظهور دعوات تجديد الخطاب الديني أن بعض الأفراد من المسلمين فسر بعض نصوص القرآن و السنة تفسيرا متشددا أقرب للغلو و التطرف سواء في الأحكام الشرعية العملية بمنطق الحلال و الحرام أو في قضايا التعامل مع الآخر سواء المخالفين في الدين أو المذهب أو المخالفين في الفكر و السياسة و من الحق أن هذا الغلو و التشدد مخالف لحقيقة الإسلام و هناك الكثير من النصوص التي تدعونا إلى ترك الغلو و التشدد في الدين و بالتالي إذا كانت الدعوة لتطوير الخطاب الديني تدعوا إلى مراجعة الأفكار و الفتوى بهدف إزالة هذا الغلو و التشدد الذي أبتدع في الخطاب الديني فهذا مشروع و هو من الحق و يصب في خدمة الدين و الدفاع عنه بالإضافة إلى تأثيره الإيجابي على حياة الناس . و من الحق أيضا أن بعض الأفراد من المسلمين لم يهتموا بمقاصد الدين و جوهره و إنما اهتموا فقط بظاهر الأحكام و ظاهر الدين فترتب على ذلك ظهور الدين في حياة الناس كصورة من غير حقيقة و بالتالي فإن تطوير الخطاب الديني بمعني الاهتمام بمقاصد الأحكام كما نهتم بالأحكام نفسها و الاهتمام بجوهر الدين من الأخلاق و المعاملات كما نهتم بظاهر و صورة الدين هو أيضا أمر مشروع.

ومن الأسباب الباطلة : ما يدعوا إليه بعض الغرب و بعض العلمانيون من حذف و تغير و تبديل للدين بدعوا القضاء على الإرهاب و التطرف كما فعلوا فيما يسمى بمصحف الفرقان الحق و هو مصحف قد حذفوا منه الكثير من الآيات مثل آيات الجهاد و الولاء و البراء و صفات اليهود و قد ظهر هذا المصحف في الكويت و الإمارات و مثل هذا و إن كان يحمل نفس العنوان و هو تطوير الخطاب الديني إلا أنه باطل و هذا ما جعل بعض المسلمين ينظروا إلى الدعوة لتطوير الخطاب الديني بتحفظ و قلق شديد.

فنحن عندما ندعوا لتطوير الخطاب الديني نكون بين تيارين كلاهما أشد خطرا من الآخر تيار الغلو و التشدد الذي يريد أن يضيق على الأمة ما وسع الله و يعسر عليها ما يسر الله و أن يعادي العالم كله و لا يتسامح مع مخالف له مسلما أو غير مسلم و يعتبر كل تطوير للخطاب الديني تحريف و كل إعمال للعقل نقص إيمان ، وتيار رفض الدين و موافقة الغرب في كل شيئ و هذا تيار يريد فعلا تبديل و تحريف الدين و رفض كل شيئ سواء قطعي ثابت أو ظني مختلف فيه فهم كما قال شوقي : يجدون كل قديم أمرا منكرا ؟

وإذا نظرنا إلى تكوين الخطاب الديني المعاصر نجده يعتمد خطاً متشدداً فيما يخص الهوية في الفكر ، ويتبنى صفة الانغلاق فيما يخص سمات الهوية ، إلى الدرجة التي أصبح فيها هذا الفكر والمجتمع الذي ينعت بهذه الهوية مرشحين ، ليكونا أول ضحايا العولمة والبديل الجاهز للنظرية الشيوعية في عدائها للرأسمالية والديمقراطية والعالم الحر وبعد بروز ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، تخلت الأديان الكبرى في خطابها عن الصراع المذهبي أو العقدي لصالح التواؤم مع أطياف الشعوب المكونة لمجتمعات ؛ في حين بقيت النظرة المتعالية قائمة في الخطاب الديني الإسلامي ، وبقيت دول العالم الإسلامي منهمكة في خصومات لا تنتهي بشأن دقائق العقيدة ومقتضياتها ؛ مما دفع الروائي اللبناني (أمين معلوف) في كتابه "الهويات القاتلة" إلى القول أن المسلمين كانوا منفتحين في العصور الوسطى وهم اليوم يتشددون ، بينما المسيحيون المتشددون في العصور الوسطى هم اليوم متسامحون [1].

غير أن صفة التشدد هذه ليست من الإسلام فى شيء ، فالقرآن الكريم لم يذكر الغلظة والشدة إلا فى موضعين : عند مواجهة الأعداء ، وعند إقامة الحدود أو تنفيذ العقوبات[2] التى حددها الله سبحانه فى قوله تعالى : " قاتلوا الذين يلونكم من الكفار

---

(١)- [1]http://www.nationalkuwait.com/vb/attachment.php?attachmentid=840&d

(٢) القصبى زلط : التشدد وسبل التقريب ، فى خطورة الفكر التكفيرى والفتوى بدون علم ، العدد ٢٢٢ من سلسلة قضايا إسلامية ، تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ، القاهرة ، ١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م ، ص ١١٠.

وليجدوا فيكم غلظة" (التوبة ١٢٣) وفى قوله تعالى "ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر" (النور ٢). ولا يزال الحديث عن أزمة الخطاب الديني المعاصر وتجديده من أكثر القضايا الجدلية خلافاً ليس بين التيارات الفكرية والسياسية فحسب ، بل أيضاً بين المنتمين للمؤسسات الدينية وأتباعها.

٤- ضوابط الخطاب الديني :

للخطاب الديني ضوابط ومحددات يمكن إيجازها فيما يلى[١] :

١- خطاب واضح ومسؤول :-

الخطاب الديني في أصله هو تأويل وتفسير بشري لمنطوق ومفهوم نصوص الوحي ،فإذا لم يكن هذا الخطاب واضحا ومفهوما وذا مفردات محددة المعاني وتصورات واضحة فإن الناقلين والمقلدين والاتباع سيغرقون في تأويل التأويل وتفسير المبهم ويتعرض الخطاب برمته إلى عملية تشويهية لا تؤمن نتائجها على المستهدفين بالخطاب ، ثم أن يكون الخطاب الديني مسؤولا بأن يصدر عن جهة مسؤولة أو شخص مسؤول بحيث يعبرأي كلام أو كتابة أو تصريح عن اجتهاد صاحبه فقط أو الطائفة أو المدرسة أوالجماعة أو المؤسسة التي يمثلها وهذا يزيل عنئا كبيرا يشكّل على الناس وبالتالي نتجنب الإطلاقية في الأحكام والتفسيرات

٢- خطاب إنساني حواري :-

إنّ تعزيز مبدأ الحوار مع الآخر في الخطاب الديني هو أمر في غاية الأهمّية في عصرنا الحالي، حيث العصبيات، والطائفيات والتطرّف والانغلاق على الذات وإلغاء الآخر يسود جماعات كثيرة في مجتمعاتنا العربية. فالحوار الجادّ والملتزم يغيّر الكثير من المفاهيم المغلوطة عن الآخر ويبعث الأمل في النفوس نحو عيش في مجتمع تسوده المودّة والإخاء والعدل والمساواة والحرّية بين أبناء الوطن الواحد. إنّنا بحاجة اليوم أكثر ممّا مضى إلى خطاب ديني يعزّز الشراكة في الحياة وفي

---

[١] - د/سليمان بن الريشة...فى ... http://www.25yanayer.net/?p=12274

الأوطان، ويزيل أسباب الخوف والنفور من الآخر، لأنّ واقع التعدّدية الدينية والإثنية والثقافية في بلداننا العربية ليس حديث العهد ولكنّه وليد تاريخ طويل من العلاقات بين الأديان وشعوبها لا يمكن اختزاله في صفحة من صفحات خطابات المحرّمات والممنوعات. خطاب يؤمن بواقع الاختلاف بين الناس في المجالات السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية، وحقّ الآخر في اعتقاده.

٣- خطاب شمولي عالمي :

يحتاج الخطاب الديني في عصرنا إلى أن يتماشى مع متطلّبات الإنسان في العصر الحالي بدون التنازل أو المساس بجوهر الدين وأصوله. فيكون خطاباً منفتحاً على الأديان والثقافات العالمية، متواصلاً معها، لا يخشاها، ولا يصطدم معها، ولا يذوب فيها، بل يرتقي إلى نقدها بدون الوقوع في فخّ التحفيز على الكراهية، وممارسة العنف المعنوي والفكري اعتماداً على تفسيرات خاصّة للنصوص الكتابية. يحتاج الخطاب الديني إلى أن يسمو إلى منطق الحفاظ على الكرامات والحرّيات والعدل والمساواة. ويستطيع الخطاب الديني أن يعاصر الحدث دون أن يتأثّر بالمضمون ودون أن يخاف من الأفكار المستوردة. فالتكنولوجيا الحديثة هي ثورة عالمية لا يمكننا أن نتعامل معها بمنطق التجاهل، بل بمنطق الحكمة والدراية من أجل المنفعة العامّة.

٤- خطاب تربوي بنائي متجدّد أو خطاب المشروع :

أي خطاب ينطق بلسان مشروع مجتمعي بنائي تغييري يغير ما بالأنفس وما بالآفاق العالمية والاقليمية السياسية والاقتصادية والثقافية والبيئية. و يجمع في اساليبه ما بين الإنذار والبشارة، بين الترغيب والترهيب، بين الاستنهاض والزجر، بين التحريض العاطفي والتنوير العقلي والمشروع العملي.

٥- خطاب تدرجي مرن :

ينمي القدرات ويراعي الظروف والإمكانات ويتدرج في تحقيق الأولويات دون أن نمطية مطلقة أو مثالية حالمة تقفز على معطيات الواقع

٦- الخطاب التشاركي المنفتح

يستفيد من الحكمة الإنسانية ومن التجارب الواقعية دون تحجر أو خضوع ويبحث عن نقاط التشارك والتواصل والتقارب بين جميع بني البشر ويطرح البديل المشترك الذي يرضي الجميع.

٥- مبررات ودوافع التجديد في الخطاب الديني :

يتحدث الكثير من الناس اليوم حول ضرورة تجديد الخطاب الديني ، والكثيرون من معارضيهم ، يتصورون أن تجديد الخطاب الديني ، يعني القضاء على الإسلام ، وبالطبع فإن هذا ليس بصحيح ، حيث إن القضاء على أي دين ، وليس الإسلام فقط، يُعتبر مستحيلاً ، ومن يعتقد بذلك ، إنما هو ضعيف الإيمان حتى لو ادعى غير ذلك.

إن تجديد الخطاب الديني واجب علينا اليوم ، لأن هناك فجوة هائلة بين ما نحياه وما نقرأه من شرائع نظمت الحياة فيما مضى. إننا سنستلهم من العقل ، حتى تواكب الزمن وإن عُطلت أحكام ، وفقاً لرؤية القائمين على المؤسسات العلمية الدينية. وقد يسأل سائل ، ولمَ نقوم بهذا ، بينما بلادنا مدنية ؟ وهناك إجابات عدة ، أهمها أن الدين عامل غاية في الأهمية في بلادنا ، والعقيدة لن يتم التنازل عنها أبداً. ثم أننا لا نعرف ما يُمكن أن يحمله لنا المستقبل ، بينما نعلم الأخطار المحيطة بنا بفعل ما واجهناه ، كما أن حياتنا المرتبطة بالدين ، سواء ظللنا كما نحن أو مضينا إلى دولة علمانية ، يجب وأن تكون حياة عصرية ، حتى نستطيع أن نتقدم ونقيم الدولة التي يُمكنها من المنافسة على المستوى العالمي ، في ظل دينٍ وسطي كما كان ، وليس وفقا للأهواء والمصالح الشخصية لمذاهب الوهابية والسلفية الجديدة[1].

ومن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ظهوردعوات تجديد الخطاب الديني : أن بعض الأفراد من المسلمين فسر بعض نصوص القرآن و السنة تفسيرا متشددا أقرب

---

[1] شريف حافظ : لماذا تجديد الخطاب الديني ؟ في :
http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=192883
الإثنين، ٢٢ فبراير ٢٠١٠ - ١٩:٤٦

[2] مرجع سابق.

للغلو و التطرف سواء في الأحكام الشرعية العملية بمنطق الحلال و الحرام أو في قضايا التعامل مع الآخر سواء المخالفين في الدين أو المذهب أو المخالفين في الفكر والسياسة و من الحق أن هذا الغلو و التشدد مخالف لحقيقة الإسلام و هناك الكثير من النصوص التي تدعونا إلى ترك الغلو و التشدد في الدين و بالتالي إذا كانت الدعوة لتطوير الخطاب الديني تدعوا إلى مراجعة الأفكار و الفتوى بهدف إزالة هذا الغلو والتشدد الذي ابتدع في الخطاب الديني فهذا مشروع و هو من الحق و يصب في خدمة الدين والدفاع عنه بالإضافة إلى تأثيره الإيجابى فى حياة الناس.

ومن الأسباب الباطلة ما يدعوا إليه بعض الغرب و بعض العلمانيين من حذف و تغير و تبديل للدين بدعوا القضاء على الإرهاب و التطرف كما فعلوا فيما يسمى بمصحف الفرقان الحق و هو مصحف قد حذفوا منه الكثير من الآيات مثل آيات الجهاد و الولاء و البراء و صفات اليهود و قد ظهر هذا المصحف في الكويت و الإمارات و مثل هذا و إن كان يحمل نفس العنوان و هو تطوير الخطاب الديني إلا أنه باطل و هذا ما جعل بعض المسلمين ينظروا إلى الدعوة لتطوير الخطاب الديني بتحفظ و قلق شديد(٢).

وعند الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني نكون بين تيارين كلاهما أشد خطرا من الآخر : تيار الغلو و التشدد الذي يريد أن يضيق على الأمة ما وسع الله و يعسر عليها ما يسر الله و أن يعادي العالم كله و لا يتسامح مع مخالف له مسلما أو غير مسلم و يعتبر كل تطوير للخطاب الديني تحريف و كل إعمال للعقل نقص إيمان ، و تيار رفض الدين و موافقة الغرب في كل شيئ و هذا تيار يريد فعلا تبديل و تحريف الدين و رفض كل شيئ سواء قطعي ثابت أو ظني مختلف فيه فهم كما قال شوقي : يجدون كل قديم أمرا منكرا.

ويرى البعض أن الخطاب الديني (الاجتهادي) متغير؛ لارتباطه ارتباطاً عضوياً بالزمان، والمكان، والأشخاص، والأحوال . الخطاب الديني هنا يتغير بتغير الزمان ، ويتغير بتغير المكان ، ويتغير بتغير الأشخاص ، ويتغير بتغير الأحوال ؛ من أجل

ذلك أرى أن "الخطاب الديني" صناعة ، يحتاج إلى خبير حاذق يُصنّعه؛ لأن الناتج في النهاية لا يخرج إلا عن علم ، وتجربة ، وملكة. فلابد أن يكتنف (المجتهد) الأدوات اللازمة التي تؤهله للقيام بهذه المهمة العظيمة؛ وإلا لصار منتجه مغشوشاً. كما لابد أن يكون عالماً بواقعه ، مستوعباً لأحكامه؛ بحيث يستطيع أن ينزل حكم الله عليه بلا أدنى لبس؛ وهذا هو صريح قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه ابن حبان: «من حكمة آل داود: أن يكون المؤمن مُدركاً لشأنه، عالماً بزمانه...» فقوله: "مدركاً لشأنه" أي: أنه يعرف أين هو؟ هل هو في حالة قوة أو في حالة ضعف؟ هل هو في حالة وَحْدة أو في حالة تشرذم؟ هل هو في حالة علم أو في حالة جهل؟ فهو يدرك أحوال نفسه؛ وبالتالي يدرك أحوال غيره[1].

ولعل النموذج الأمثل –هنا– في تطبيق هذا المنهج، وتلك القاعدة، هو: المذاهب الفقهية الأربعة. فهذا هو الشافعي نرى له مذهباً قديماً وآخر جديداً، كان الأول في العراق، والآخر بمصر. وأبو حنيفة كان –مثلاً– يأخذ بشهادة مستور الحال الذي ظاهره العدالة، ثم لما تبيّن له تغير أحوال الناس غيّر هذا الحكم، وغيره من بعضه تلاميذه كأبي يوسف ومحمد. كما نقل السرخسي أيضاً أن أبا حنيفة كان يرى أن الفرس الذين هم حديث عهد بإسلام لهم أن يقرؤوا بالفارسية سورة الفاتحة وغيرها، ثم لما قوي إيمانهم وعلمهم، وكثرت البدع رجع أبو حنيفة عن هذا القول[2].

٦– وسائل الخطاب الدينى .

أما أساليب ووسائل الخطاب الدينى فهى تتغير بتغير الزمان والمكان فما ينفع فى الماضى من وسائل لا يصلح الان وكذلك لا يصلح المستخدم الان فى المستقبل وما يصلح مثلا فى السعودية او مصر لا يصلح لخطاب الغرب وهكذا فمثلا من القواعد المستخدمة فى الفتوى هو تغير الفتوى حسب الزمان والمكان وحال المستفتى وهذا ما كان يفعله النبي عليه السلام فكان يفتى فى المسألة الواحدة باقوال مختلفة حسب

(١) جمال محمد بواطنة : تجديد الخطاب الدينى المعاصر ضرورة ملحة ، فلسطين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٢) المرجع السابق.

(3) http://www.nationalkuwait.com/vb/attachment.php?attachmentid=840&d

شخصية من يسأل ، وهذا اكبر دليل على أن النبي كان يقصد تعليمنا ان وسائل الخطاب وفحواه يتغير حسب من يوجه له الخطاب ولنا فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر.

لقد عطل الخليفة عمر بن الخطاب، الخليفة الراشد الثانى والمُبشر بالجنة من قبل الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، حد قطع اليد للسارق، وهو الحد الصريح بآيات الله عز وجل، حيث رأى عدم تناسبه مع مُعطيات العقل فى ظرف الفاقة والعوز والحاجة.

وهذا الفعل فى ظروفنا الحالية، يمكن الاسترشاد به من قبل المؤسسات الدينية المعنية، فى أرجاء الأمة، فى عملية التجديد الدينى. ولم يكتف الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، بهذا "التعطيل" لحد السرقة، ولكنه ووفقا للظرف واستخدام العقل، قام بتعطيل "سهم المؤلفة قلوبهم" والذى نزلت فيه آية صريحة فى القرآن الكريم:"إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم" ، وربما يرى أحد غيره اليوم ، أن الظرف يستلزم العمل بالآية ، ويكون على صواب ، لأن الأمر يعتمد على العقل والمنطق ، الذى يكره التعامل به المتشددون.

٧- مقومات تجديد الخطاب الديني :

تتمثل مقومات ودعائم تجديد الخطاب الدينى كما يراها فضيلة الشيخ المرحوم محمد سيد طنطاوى[1] فيما يلى :

أولا: لا بد أن يكون الخطاب الديني نابعاً وزاخراً من كتاب الله عز وجل.

ثانياً: يجب أن يكون الخطاب الديني قائما ومستمدا من السنة النبوية المطهرة، فالسنة شارحة ومفسرة لما جاء في القرآن الكريم، فالسنة والقرآن كلاهما من عند الله ، إلا أن القرآن من عند الله بلفظه ومعناه، أما السنة فهي من عند الله بمعناها، أما ألفاظها بإلهام من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٩٠٨٩ شعبان ١٤٢٤هـ
http://www.aawsat.com/details.asp?section=17&article

ثالثاً: أن يكون الخطاب الديني مواكباً للأحداث وهذا هو الذي يعبر عنه بالتجديد فيقوم الدعاة بمخاطبة الناس وحل مشكلاتهم وذلك عن طريق مواكبة الدعاة للمتغيرات والأحداث التي يمر بها المجتمع بأن يجدد الداعية المسلم المعلومات والأفكار وان ينوع الموعظة وان يعمل على إصلاح الفرد لان إصلاح الفرد فيه إصلاح للمجتمع، والإسلام دين عالج كل الأشياء فتراه يتحدث عن البيئة وكذا علاقة المسلمين بغير المسلمين وتنظيم الاستهلاك في المياه والطاقة.

رابعاً: أن يكون الخطاب الديني قائماً على الصدق بعيداً عن الشبهات.

خامساً: من مقومات الخطاب الديني المتوسط والاعتدال والتواضع حتى يكون له أثره في النفوس.

(ب)- الخطاب الديني في المؤسسات التربوية :

(أ)- في الأسرة :

من الأسباب التي تدفع بالفرد الى الغلو والتشدد فى الدين النشأة الأسرية المتطرفة، ففي الغالب يكون الشخص المتشدد في خطابه الديني بكل أنواعه قد نشأ في أسرة تحيط بها المشاكل في جو بعيد عن العلم والمعرفة والسلوك المنضبط ، كذلك فإن الأساليب التربوية غير السوية أو المتشددة تعد سبباً نفسياً قوياً للنشأة المستبدة للفرد وبالتالى مغالاته فى أمور حياته ، ومنها الأحكام الدينية الصادرة عنه ؛ فالعلم والمعرفة والذكاء يجنبان الشخص التشدد والغلو والتطرف[1].

إن نجاح الخطاب الديني مرهون بقبول الناس له ، فحينما تخاطب الناس في قضايا لا تعنيهم ، وبأسلوب فيه استعلاء، وبعبرات قديمة من العصور الوسطى، هذا الخطاب لا يلقى القبول ، أما حينما تضع يدك على مشكلاتهم النفسية ، والاجتماعية، والمادية، حينما يسهم الخطاب الديني بحل مشكلات الأسرة ، وحينما يسهم الخطاب الديني في تربية الأولاد ، وحينما يسهم الخطاب الديني في انتماء الإنسان إلى بلده ووطنه ، وحينما يتصف الخطاب الديني بالسمو الأخلاقي ، فهذا هو الخطاب الديني

---

[1] محمد راتب النابلسى : الخطاب الدينى والحوار ،
http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=10620

الذي يسهم في حل مشكلات الأسرة أولاً، وفي حلّ مشكلات المجتمع ثانياً ، ويساهم في بناء الإنسان بناء أخلاقياً، وعلمياً، واجتماعياً، ونفسياً، وسلوكياً، ورياضياً، ويعد هذا الخطاب مقبولاً عند كل الناس حتى عند غير المسلم[١].

فإذا كان الخطاب الديني يبني الإنسان المؤمن على فهم عميق، ونظرة موضوعية ،فإن القيمة العلمية للإنسان تحتم ضرورة التمسك بالأخلاق النابع من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والأنبياء جميعاً إنما بعثوا ليتمموا مكارم الأخلاق ، فكلمة مؤمن تعني أنها مرتبة علمية ، وخُلقية ، وجمالية. من هنا فإن ضرورة اعتدال الخطاب الدينى فى الأسرة من خلال توجيهات وتعليمات الوالدين للأبناء فى النواحى الدينية والخلقية أمر يفرضه الواجب الإيمانى ، والفطرة الإنسانية النقية ، التى تتخذ من وسطية الدين وسماحته منهجا لتربية الأبناء على المنهج الاسلامى ، بعيدا عن التشدد والتطرف والغلو[٢].

(ب)- الخطاب الدينى فى المدرسة :

من الطبيعى أن الدور الذى تمارسه التربية المدرسية فى توجيه التلاميذ وإرشادهم دينيا وأخلاقيا إنما يندرج تحت تأثير الخطاب الدينى ، الذى يتمثل فى المناهج التعليمية والأنشطة المدرسية ، ومن هنا فإن العمل على اعتدال الخطاب الدينى ، وتجنب الغلو والتشدد فيه إنما يقع على عاتق المعلمين القائمين على تدريس المناهج المختلفة ، لاسيما مناهج التربية الدينية ، بموضوعاتها المختلفة ، على أن يكون هناك إشراف واع وتقويم مستمر من جانب الموجهين والسلطات التعليمية العليا.

---

(١) مركز آفاق للدراسات والبحوث http://aafaqcenter.com/index.php/post/1526

(٢)- عزيز عبدالواحد : نحو خطاب ديني معاصر ٢-٢-٢٠١٠

http://www.alnoor.se/article.asp?id=68176

عبد الله بن عبد العزيز اليوسف : دور المدرسة فى مقاومة الارهاب والعنف والتطرف ، الرياض ،مركز أبحاث مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية ، ص٢١.

نحو تجديد الخطاب التربوي

http://www.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId11

يعد الكتاب المدرسي أحد أهم العناصر المكونة للنظام التربوي ، ومن هنا فهو يعد مدخلا أساسيا لأيّة دراسة علمية لهذا النظام . بناء على هذه الأهمية فإن الكتاب المدرسي لمادة التربية الإسلامية في التعليم الابتدائى والاعدادى والثانوى يكشف عن مضمون وخصائص الخطاب الذي يستهدف تكوين الهوية الدينية في إحدى أهم مؤسسات التربية والتنشئة الاجتماعية الدينية للتلاميذ.

ويستدعي فهم الخطاب السائد حول الهوية الدينية الذي تتضمنه مناهج وكتب التربية الإسلامية في مستوى مراحل التعليم المختلفة الانطلاق من الإطار الإيديولوجي الذي يؤطر هذا الخطاب في الفترة الحالية ؛ حيث أن الإصلاحات المطلوبة في مناهج التربية الإسلامية لابد وأن تستند إلى عدد من المبادئ الدستورية ومدعوّة إلى الاستجابة إلى عدد من التحدّيات المعاصرة ، والتجاوب مع جملة من الأحداث التي تشكّل الإطار الإيديولوجي المرجعي لمعالم وأسس الخطاب الديني التربوي.

كما أن المنظومة التربوية ومنها برامج التربية الإسلامية مدعوة أيضا إلى الأخذ بعين الاعتبار التحديات الخارجية التى تحيط بالمدرسة والمجتمع من كل حدب وصوب ، وهي: تحدي العولمة ، تحدي وسائل الإعلام والاتصال وتحدي الثورة العلمية والتكنولوجية.

ولبناء خطاب ديني معتدل ، يتوجب إصلاح مناهج التعليم عن طريق التأصيل للعلوم والمعارف الطبيعية ، وتقديم القدوة الصالحة في الخطاب الديني بمختلف أنواعه من قيادات لها (كارزمة) ، وإدخال الوسائط الحديثة في تقديم الخطاب الديني ، وحث الأذكياء على الخطابة وذلك بالالتحاق بالمعاهد الدينية ولو بعد التخرج ، ومعالجة الخطاب الديني بالفكر وليس بالعنف. كما أن تفعيل الدور الأمني للمدرسة في مقاومة الفكر والسلوك المتطرف يجب أن يقوم على أساس التعامل مع الطلاب من خلال الحوار القائم على التفكير والإبداع ، الذي يسمح لعقل الطالب بتأمل الأمور ورؤية الحقيقة من أكثر من زاوية بما يمكنه من الابتعاد – بعد توفيق الله

سبحانه وتعالى – عن أن يصبح فريسة سهلة للأفكار المتطرفة والداعية للعنف والتخريب.[1].

ومما يدل على قصور مسؤلية المدرسة والتعليم وعلاقته بجمود الخطاب الديني، قضية الأمية التى مازالنا نعانى من تداعياتها السلبية فى كل مجالات التقدم والتنمية، فما زالت الإحصاءات تشير إلى أن ما قد يصل إلى عشرات الملايين من أبناء الأمة العربية والإسلامية على حال من الأمية الأبجدية ، في الوقت الذي تجاوزت فيه دول كثيرة في العالم مثل هذه الأمية وبدأوا يتناولون أنواعاً أخرى مثل الأبجدية «الكومبيوترية»، وغيرها من الأنواع التي تؤكد رغبة عارمة في اللحاق بركب الإنتاج الحضاري[3]. مثل هذه القضية، لابد أن تكون من هموم «الخطاب الإسلامي التربوي»، خاصة وأن الأمة الإسلامية في حال استضعاف لن تتخلص منه – بعد حسن الوعي والاستيعاب والعمل بدينها – إلا بأن تعب إلى أقصى درجة ممكنة من العلم الحديث والتكنولوجيا، ولها في القرآن الكريم والسنة النبوية زاد لا ينضب من الدعوة الملحة على طلب العلم والتعليم، مما تناولته كتب متعددة، ويكفي هنا أن نكرر الإشارة إلى النموذج العملي التطبيقي الشهير الذي سبق أن أشرنا إليه إبان غزوة بدر، حيث كان فداء الأسير من كفار قريش أن يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة [2] .

ويرى "سعيد اسماعيل على" أنه لكي يقوم «خطاب التربية الإسلامية» بما هو مأمول له في عصرنا الحاضر، وفي المستقبل، فلابد من أن يرتكز تجديده إلى ثلاث ركائز: العقل، والنص ، والأدوات : فأما العقل فأول شروطه، ليكون في ذلك التجديد مساهماً، «الحرية»، ونعني بها انطلاقة ذاتية غير متأثرة بمنفعة شخصية ، أو هوى متبع ، أو فكرة سابقة مسيطرة وأما النص ، فشرطه المناسبة والمواءمة للإنسان

---

(1) عبد الله بن عبد العزيز اليوسف : دور المدرسة فى مقاومة الارهاب والعنف والتطرف ، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق.

(3) ـ سعيد اسماعيل على: نحو تجديد الفكر التربوى ، شبكة اسلام ويب ـ المكتبة الاسلامية
http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=11

كله، داخله وخارجه ، ظاهره وباطنه ، وأما الأدوات ، فيجب استفار كل ما كان ، وما صار في خدمة النص ، تستخدمها الحركة العقلية[٣].

ثالثاً – المتطلبات التربوية لتجديد الخطاب الديني :

ثلاثية «الفكر، ثم الخطاب، ثم السلوك» بتراتيبيتها الجميلة ينتج منها تراكم من الوعي يمكن أن تؤسس عليه حضارة علمية وعملية. والعكس بالعكس فحين تكوم هذه الثلاثية، أو يختفي بعضها. تتحول من الوعي إلى حديقة تنبت بها أشواك صغيرة للتخلف، تسقى بماء الوهم، والغباء أحياناً!إن من إشكالات الفهم بين» الدين والمتدين» أن تكون ممارسات المتدين نفسه في «فكره وخطابه وسلوكه «تأخذ القداسة نفسها التي تجب للوحي المنزل والنبي المرسل، ومن هنا فلا بد من فك التشابك اللاصحيح بين مفهومي «الدين والمتدين»، فالدين الوحي المقدس، وأما التدين فهو الممارسة البشرية لفهم الدين وهي التي تخضع لاعتبارات كثيرة، وتتحول وتتأثر وتتطور لمعطيات عدة يدركها كل من يعي طبيعة البشر وطرائقهم في تشكيل مفاهيمهم ومصالحهم. ومدى تأثرهم في اجتماعهم المدني .ومدى تأثيرهم أيضاً[١].

فعلينا أنْ لا نستمر في إثارة المخاوف والقلق أمامها ، بل أن نأخذ زمام المبادرة للاستفادة من هذا التطور في خدمة مصالحنا ، وفي حماية مبادئنا ، وفي تحويل ثقافتنا وهي مهيأة لكي تكون ثقافة عالمية ولكي تشق طريقها الى مختلف المجتمعات البشرية. والطريقة المثلى هي أخذ المبادرة من اجل وضع مناهج تربوية وتعليمية أفضل تأخذ قيمنا بنظر الاعتبار وتربي أولادنا بالطريقة التي نراها مناسبة لقيمنا ولمبادئنا ومصالحنا.

من هنا يمكن إيجاز أهم متطلبات تجديد الخطاب الديني ، والتى يمكن ان تساهم فيها المؤسسات التربوية كما يراها الباحث فى النقاط التالية :

أولا: أن يكون الخطاب الديني نابعاً وزاخراً من كتاب الله عز وجل.

---

(١) مركز آفاق للدراسات والبحوث ، متاحة في : http://aafaqcenter.com/index.php/post/1526

ثانياً: أن يكون الخطاب الديني قائما ومستمدا من السنة النبوية المطهرة ، فالسنة شارحة ومفسرة لما جاء في القرآن الكريم ، فالسنة والقرآن كلاهما من عند الله ، إلا ان القرآن من عند الله بلفظه ومعناه، أما السنة فهي من عند الله بمعناها ، أما ألفاظها بإلهام من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: أن يكون الخطاب الديني مواكباً للأحداث وهذا هو الذي يعبر عنه بالتجديد فيقوم الدعاة بمخاطبة الناس وحل مشكلاتهم وذلك عن طريق مواكبة الدعاة للمتغيرات والأحداث التي يمر بها المجتمع بأن يجدد الداعية المسلم المعلومات والأفكار وان ينوع الموعظة وان يعمل على إصلاح الفرد لان اصلاح الفرد فيه اصلاح للمجتمع، والاسلام دين عالج كل الاشياء فتراه يتحدث عن البيئة وكذا علاقة المسلمين بغير المسلمينو.

رابعاً: ان يكون الخطاب الديني قائماً على الصدق بعيداً عن الشبهات.

خامساً: من مقومات الخطاب الديني المتوسط والاعتدال والتواضع حتى يكون له أثره في النفوس.

ويقترح الباحث هنا بعض المتطلبات التربوية لتجديد الخطاب الدينى ليكون أكثر اعتدالاً وقابلية للاقتناع ومواكبة متغيرات العصر ، وذلك فيما يلى :

١- تعزيز مبدأ الحوار مع الآخر فى الأسرة والمدرسة.

٢- الدعوة إلى التكيف مع العصر والانفتاح على الأديان والثقافات العالمية.

٣- توظيف الخطاب الدينى فى متطلبات التنمية البشرية.

٤- البعد عن التشدد والغلو والتطرف فى المناهج التربوية.

٥- الاستغلال التربوى لوسائل التكنولوجيا المعاصرة فى تجديد الخطاب الدينى.

وفيما يلى تفصيل ماسبق :

١- تعزيز مبدأ الحوار مع الآخر فى الأسرة والمدرسة.

إنّ ما نلاحظه هو أنّ أغلب الخطابات الدينية هي خطابات إنشائية فيها شيء من نبذ الآخر وعدم قبوله، وفيها شيء من التشدّد والتعصّب المذهبي والطائفي تغذّيه أفكار بعيدة عن حقيقة الدين وتعاليمه. فما زالت الخلافات المذهبية الداخلية بين أبناء الدين

الواحد تأخذ حيّزاً هامّاً من فحوى الخطاب الديني، تؤجّجه العصبية الطائفية من جهة، والتأويلات الخاطئة عن الآخر من جهة أُخرى، وربّما بعض التيّارات الفكرية الغربية المغرضة. فقبول الآخر لا يعني بالضرورة أن يكون الآخر مماثلاً ومشابهاً ومطابقاً لي ، بل يعني القبول به على ما هو عليه من شكل ولون وعرق ودين وفكر وثقافة وانتماء[1]. فإذا نجحت التربية فى أن يقبل التلاميذ الآخر كما هو ، فإنها تكون بذلك قد حققت أهدافا متعددة. ومن الضرورى أيضاً إعداد المعلمين على هذه المفاهيم السامية لدفع التلاميذ إلى التفكير والإبداع.

٢- الدعوة إلى التكيف مع العصر والانفتاح على الأديان والثقافات العالمية.

يعاني الخطاب الديني من مسألة الانغلاق على الذات، ورفض الأفكار في الثقافة العالمية، وإغلاق الباب في وجه التبادل الثقافي والفكري والإنساني مع العالم. فالعولمة الفكرية والثقافية باتت تتحدّى مضمون الخطاب الديني التقليدي في شرقنا العربي. ومواقع شبكة الإنترنت والدردشة تقتحم كلّ منزل وكلّ فكر. فمن الضرورى للخطاب الديني أن يطوّر نفسه ليصبح خطاباً دينياً يحاكي المستجدّات والتطوّرات الدينية والثقافية والإنسانية العالمية. أي أن يرقى هذا الخطاب إلى مستوى العالمية والشمولية في التفكير. وأن يكون مرآة تعكس الواقع المحلّي بمنظور عالمي ، ويكون أثر المحلّي واضحاً في العالمي. فالانعزالية لم تعد تنفع في عصر الانفتاح وسقوط الحواجز الفكرية والثقافية بين الناس والمجتمعات[2].

٣- توظيف الخطاب الديني فى متطلبات التنمية البشرية :

فالأزمة بين فحوى الخطاب الديني والتطلعات التنموية البشرية على ضوئه ليست وليدة المرحلة الحالية ، ولا مقصورة على الدين الإسلامي وحده ، فقد عانت

---

(١) : رازق سرياني : الخطاب الديني وتحدّيات العصر http://www.terezia.org/section.php?id=1822

(٢) محسن العواجى : تجديد الخطاب الديني بين مطرقة الأتباع وسندان الخصوم -http://al jazirah.com.sa/2009jaz/oct/2/is1.htm

(٣) مرجع سابق

(١) عبد الستار الاسماعيلي: الخطاب الديني بين الاعتدال والتطرف http://www.alnoor.se/article.asp?id=99589

المسيحية في القرون الوسطى من سلبية رجال الدين ، وإغراق أوروبا بأكملها بضعة قرون في ظلام منقطع النظير بسبب فقدان خطاب القساوسة لمعطيات عمارة الأرض التي هي أمل كل إنسان سوي. أما على الصعيد الإسلامي فالخلل مازال موجودا وإن كان أقل مما حدث مع المسيحية ، الأمر الذي يشكل عبئا تنمويا يضاف إلى العقبات السياسية والاجتماعية التي تواجه دعاة التغيير والإصلاح في الشارع الإسلامي(٣).

٤- البعد عن التشدد والغلو والتطرف فى المناهج التربوية :

تتضح إشكالية الخطاب الدينى وآثاره عندما يتجه هذا الخطاب في خط طائفي متعصب ، لايرى الا صحة رأيه وخطأ الاخرين ، وقد يتعدى ذلك الى تكفيرهم كما حدث ويحدث ومانسمعه بين فتره واخرى من هذا المنبر او ذاك ، فالمشكله في واقع الامر مع هذا النوع من الخطاب إذ ان الخطاب الديني المعتدل لاشكال فيه ولاغبار عليه بل هو من ضرورات الأرشاد والثقافه والمعرفه في كل زمان. وفي اوساطنا من جهابذة الفكر الاسلامي ممن اغنوا بمؤلفاتهم ساحة الفكر العالمي وأثروا بأطروحاتهم مختلف الميادين الثقافيه ونالوا اعجاب القاصي والداني على اختلاف الاديان والقوميات(٤).

فالمطلوب إذاً إسناد وضع المناهج التعليمية والأنشطة التربوية فى المدرسة إلى متخصصين أكاديمين وتربويين من ذوى الاتجاهات الدينية المعتدلة ، والفكر الاسلامى الوسطى والمتفتح ، الأمر الذى ينعكس إيجابياً على شخصيات المتعلمين وفكرهم واتجاهاتهم الدينية والاجتماعية ، وفى ذلك وقاية من الانحراف والتطرف ، وتحقيق لأهداف التربية والتعليم فيما يتعلق بالخطاب الدينى الاسلامى المنشود فى تلاميذ اليوم لصالح الأجيال القادمة.

٥- الاستغلال التربوى لوسائل التكنولوجيا المعاصرة فى تجديد الخطاب الدينى.

من المعروف أن التعليم الناجح هو الذى يستخدم فى إجراءاته وممارساته الوسائل التعليمية المناسبة التى يكون لها مردود إيجابى عظيم الفائدة إذا ما أحسن

المعلمون استغلال وتوظيف تلك الوسائل السمعية والبصرية وغيرها فى صالح تحقيق الأهداف التربوية المرغوبة ، فلا عجب إذاً أن يستخدم المعلم وسائل التكنولوجيا الحديثة كالتليفزيون والفيديو والكمبيوتر والانترنت وأجهزة العرض المختلفة لغرض توضيح الأمور الدينية والتشريعات الفقهية والتحصيل العلمى فى مناهج التربية الدينية وأنشطتها المختلفة ، كما يمكن للأسرة توظيف هذه التكنولوجيا الحديثة فى توجيه الأبناء نحو التدين الوسطى المعتدل ، فيتقبلها الأبناء عن قناعة ورضا ، وبشكل أفضل من الأوامر والنواهى المتشددة من جانب الأبوين.

نتائج الدراسة :

توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج لعل من أهمها :

١-أن المقصود بتجديد الخطاب الديني هو تجديد الفكر الديني الذي يمثل فهم الإنسان للدين وأساليب عرضه ، ورؤيته الشخصية. وليس المقصود بتجديد الدين الذي يمثل النصوص المقدسة والكتب السماوية بالطبع.

٢-إن التجديد هو جزء من التراث الديني نفسه ، والإمام محمد عبده والشيخ علي عبد الرازق من أبرز القائمين علي التجديد في حينهما.

٣- إن دور المؤسسات التربوية فى تجديد الخطاب الدينى لا يقل أهمية وضرورة عن دور الدعوة فى المساجد والمؤسسات الدينية الأخرى.

٤- فى كثير من المناهج والمقررات الدراسية والأنشطة الدراسية مجالات متعددة تبرز فيها

الحاجة الى تجديد الخطاب الدينى وتطويره بشكل يساعد على تعميق المفاهيم الدينية بوسطية

واعتدال ، بعيداً عن التطرف والمغالاة والعنف فى إقناع الآخر.

٥- هناك قصور فى توظيف استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة فى عرض وتفعيل الخطاب

الدينى بصورة ملائمة للشباب والأطفال والتلاميذ ، وما يزال الاعتماد قائما على الأساليب

التقليدية فى التلقين والخطابة.

٦- أن الخطاب الدينى فى الأسرة المصرية والعربية لا يزال يعتمد التشدد والغلو ، مما قد يؤدى

فى مراحل لاحقة بالشباب إلى الاندفاع نحو دعاة التشدد والعنف والارهاب.

٧- أن المدرسة بمناهجها الحالية لا يمكن أن تقدم للتلاميذ خطابا دينيا معتدلا وفعالا بدون إعداد

جيد للمعلمين الذين يشكلون القدوة والنموذج لتلاميذها.

٨- أن أزمة الخطاب الديني المعاصرة لا يمكن مواجهتها بدون تكامل وتعاون المؤسسات التربوية والدينية في المجتمع ، لسد منابع العنف والإرهاب الذى يعانى منه المجتمع الآن.

٩- أن تفعيل الخطاب الديني في الأسرة والمدرسة يتعرض لعوامل من الهدم والتدمير على يد مؤسسات أخرى كالإعلام والانترنت وغيرها.

توصيات الدراسة :

١- التأكيد على أهمية الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة مثل شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» في نشر الخطاب الديني المعتدل وتوجيه المجتمعات البشرية إلى الحق والعدل والخير والسلام، وتعاون المؤسسات التربوية في نشر الخطاب الديني بكل قطاعات المجتمع .

٢- تشجيع ظاهرة الدعاة الجدد، وانتقاء العناصر الصالحة منهم وإدماجهم ضمن برامجها الدعوية، لما لهؤلاء الدعاة من قبول لدى الجماهير.

٣- إن تحديث الخطاب الديني يتطلب التحدث بلغة العصر ومخاطبة كل مجتمع بما يفهمه ويحتاج إليه ، والتحدث بلغة كل جماعة لنشر تعاليم الإسلام في كل مكان.

٤- ضرورة مراجعة عبارات التكفير التي ترد في المراحل الابتدائية الأولى مثل من فعل كذا فقد كفر ومن فعل كذا فقد كفر لأن الطفل أو المراهق يقرؤها ولا يجد لها ما يترتب عليها من تصرفات أو أحكام لفاعليها فإذا ما دخل الإنترنت مثلا أو إلتقى أصحاب المذاهب أو الجماعات ركب على ما سبق وأن قرأه أعمال القتل والتفجير أو ألغى من عقله كل ما سبق وأن درسه.

٥- مراجعة مصطلحات من نوع صاع -قيد رمح -فرسخ- حقة تبيعة ..إلخ والتي توحي بأن الدين عبارة عن كتب صفراء مأثورات قديمة.

٦-معالجة الخلل البين في التطبيق فيما درسوه على مدى إثني عشر عاما في المناهج الدينية وسمعوه من الخطب والمواعظ

٧- تقديم الدين على أنه دين حياة وتطور وتقدم ونماء وليس دينا يشجع فقط على الموت والإستعداد له علما أن الإستعداد للموت يكون بما نقدمه لحياتنا الدنيا أيضا

٨- تقديم الدين على أنه دين حياة وتطور وتقدم ونماء وليس دينا يشجع فقط على الموت والإستعداد له ، علما بأن الاستعداد للموت يكون بما نقدمه لحياتنا الدنيا أيضا.

٩- ضرورة مراجعة عبارات التكفير التي ترد في المراحل الإبتدائية الأولى مثل من فعل كذا فقد كفر ومن فعل كذا فقد كفر لأن الطفل أو المراهق يقرؤها ولا يجد لها ما يترتب عليها من تصرفات أو أحكام لفاعليها فإذا ما دخل الإنترنت مثلا أو إلتقى أصحاب المذاهب أو الجماعات ركب على ما سبق وأن قرأه أعمال القتل والتفجير أو ألغى من عقله كل ما سبق وأن درسه

١٠- ضرورة التوظيف الإيجابى لوسائل وأساليب الخطاب الدينى فى الأسرة والمدرسة ، وربط ذلك باستقرار الحياة واستمراريتها على قيم التعايش والتسامح والتآخى بين الناس على اختلاف مذاهبهم ودياناتهم.

وأخيرا... عندما ندرك أن العدو الأول للإسلام هو الفهم غير الصحيح للإسلام ، نكون قد بدأنا الخطوة الأولى باتجاه إصلاح الفكر الديني وتجديد الخطاب الاسلامى. وبالطبع، لا يمكن أن نهمل هنا بعض التجارب الأخرى التي تعتمد مبدأ إعادة النظر في الخطاب الديني التقليدي من خلال مفاهيم التنمية الموجهة لكل إنسان مصري في نطاق تنفيذ مشروعات خدمية أو صحية أو بيئية أو ثقافية أو اقتصادية ، وهي نماذج يجب تكرارها وانتشار تبني الأخذ بها واستمراريتها.

المراجع :

١- شريف حافظ : لماذا تجديد الخطاب الدينى ؟ فى :
http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=192883 الإثنين، ٢٢ فبراير ٢٠١٠ - ١٩:٤٦

٢- محمد راتب النابلسى : الخطاب الدينى والحوار ، فى :
http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=10620&id=205 الأحد ٢٠١٣/٥/١٣

-٣
http://www.nationalkuwait.com/vb/attachment.php?attachmentid=840&d

٤- القصبى زلط : التشدد وسبل التقريب ، فى خطورة الفكر التكفيرى والفتوى بدون علم ، العدد ٢٢٢ من سلسلة قضايا اسلامية ، تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، وزارة الاوقاف ، القاهرة ، ١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م .

٥- د/ سعيد اسماعيل على: نحو تجديد الفكر التربوى ، شبكة اسلام ويب - المكتبة الإسلامية
http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=11&ChapterId=11&BookId=300&CatId=201&startno=0

http://www.nationalkuwait.com/vb/attachment.php?attachmentid=840&d

٧- جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٩٠٨٩ شعبان ١٤٢٤هـ
http://www.aawsat.com/details.asp?section=17&article

٨- د/سليمان بن http://www.25yanayer.net/?p=12274 - الريشة...فى ...

٩- عبد الله بن عبد العزيز اليوسف : دور المدرسة فى مقاومة الارهاب والعنف والتطرف ، الرياض ،مركز أبحاث مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية ، ص٢١.

١٠- . فى ٢٠١٤/٢/١٢ ...
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=85482
١١- عبد الستار الاسماعيلي : الخطاب الديني بين الاعتدال والتطرف ، فى :
http://www.alnoor.se/article.asp?id=99589
١٢- فاطمة العربي :
http://massai.ahram.org.eg/Inner.aspx?IssueId=694&typeid
١٣- . أشرف يوسف أبو عطايا و يحيى عبد الهادي أبو زينة : تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات
التربوية المعاصرة ، بحث فى مؤتمر كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية – غزة
١٤- http://www.alukah.net/Web/triqi/0/31579
١٥- http://site.iugaza.edu.ps/msousi
١٦- https://www.facebook.com/notes
١٧- http://www.youm7.com/story/2015/1/25
18- .....
http://www.falsafh.com/vb/t11524.html1
٩- محمد مختار جمعة : الخطاب الدينى المفترى عليه ، مجلة التصوف الإسلامى ، العدد ٤٣٦ ، القاهرة ، ١٤٣٥
٢٠- : رازق سرياني : الخطاب الديني وتحدّيات العصر
http://www.terezia.org/section.php?id=1822
١- محسن العواجى : تجديد الخطاب الديني بين مطرقة الأتباع وسندان الخصوم
http://al-jazirah.com.sa/2009jaz/oct/2/is1.htm
٢٢- محمد بن شاكر الشريف : تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف ، الرياض ، مجلة البيان ، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤ م
٢٣- جمال محمد بواطنة : تجديد الخطاب الدينى المعاصر ضرورة ملحة ، فلسطين ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.

فهرس الدراسة

أولا : الإطار العام للدراسة :

- مقدمة الدراسة.
- مشكلة الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- اهداف الدراسة.
- منهج الدراسة.
- حدود الدراسة.
- مصطلحات الدراسة.
- الدراسات السابقة.
- إجراءات الدراسة

ثانيا : محتوى الدراسة :

(أ)- : الخطاب الدينى :

١- مفهوم الخطاب الدينى

٢- أهمية الخطاب الدينى وأهدافه.

٣- واقع أزمة الخطاب الدينى المعاصر

٤- ضوابط الخطاب الدينى.

٥- مبررات ودوافع التجديد فى الخطاب الدينى

٦- وسائل الخطاب الدينى

٧- مقومات تجديد الخطاب الدينى

(ب)- الخطاب الدينى فى بعض المؤسسات التربوية :

١)- الخطاب الدينى فى الأسرة

٢)- الخطاب الدينى فى المدرسة

(ج)- المتطلبات التربوية للخطاب الدينى :

١- تعزيز مبدأ الحوار فى الخطاب الدينى التربوى.

٢- الانفتاح التربوى على الأديان والثقافات العالمية.

٣- التوظيف التربوى للخطاب الدينى فى التنمية البشرية.

٤- البعد عن التشدد والغلو والتطرف فى المناهج التعليمية.

٥- الاستغلال التربوى لوسائل التكنولوجيا المعاصرة فى تجديد الخطاب الدينى.

- نتائج وتوصيات الدراسة

المراجع